

## أسلوبية التناص بين النشأة والمفهوم *Stylistics of Intertextuality between Origin and Concept*

برونة محمد

جامعة وهران - الجزائر

[medberrouna@gmail.com](mailto:medberrouna@gmail.com)

**Abstract:** *The ancient Arab criticism clearly referred to the phenomenon of intertextuality with different terminology and approach, with a strict vision of the Arab critic at the time, which was dominated by the position of the court, as the concept of intertextuality is not new in Arabic rhetorical and critical studies. It came under different names, and the concept of intertextuality does not permit the launch of a text from nothing. Rather, the text must have sediments. Thus, there have been studies in literary thefts with different terms and different visions of Arabic criticism. Poets since the pre-Islamic era have been alerted to this serious issue; They took it in a variety of ways. Intertextuality is the relationship between texts and the reality of the interaction between them, in recalling them by restoring them or imitating them by imitation of other previous or contemporary texts. The literary text represents a block of mosaic overlapping with quotes and meanings that took and imbibed other new meanings presented in the text, and thus intertextuality plays the role of a link between creators.*

**Keywords:** *Intertextuality, plagiarism, citation, interaction, linguistic fabric.*

**المخلص:** لقد أشار النقد العربي القديم وبشكل واضح الى ظاهرة التناص مع اختلاف المصطلح والمنهج، برؤيه صارمه للناقد العربي انذاك، سادها وسيطر عليها موقف المحاكمة، اذ مفهوم التناص ليس جديدا في الدراسات البلاغية والنقدية العربية. فقد ورد تحت مسميات مختلفة، كما أن مفهوم التناص لا يبيح ولا يجيز فكره انطلاق نص من العدم بل لا بد للنص من رواسب، وهكذا فقد وردت دراسات في السرقات الادبية بمصطلحات مختلفة ورؤى متفاوتة في النقد العربي، وتنبه الشعراء منذ العصر الجاهلي الى هذه القضية الخطيرة؛ فتناولوها بأساليب متعددة. والتناص هو العلاقة بين النصوص وحقيقة التفاعل بينها وذلك في استحضارها باستعادتها او تقليدها بمحاكاتها لنصوص أخرى سابقة او معاصرة لها. فالنص الأدبي يمثل كحلة من الفسيفساء المتداخلة بالاقتراسات والمعاني التي أخذت وأشربت معاني أخرى جديدة مطروحة في النص، وبهذا يؤدي التناص دور الرابط بيننا أو أكثر ويكون هذا الترابط وهذا التفاعل من المبدع اللاحق اما طوعا او رغما.

**الكلمات المفتاحية:** التناص، السرقات الأدبية، الاقتباس، التفاعل، النسيج اللغوي.

ان في الفكر النقدي العربي كنوز يجب التنقيب عنها واحداها ما اخذوا الدراسة الجدية نواجه بها النظريات النقدية الغربية الحديثه كما ورد على لسان عبد الملك مرتضى ان من الاستغناء والعقول النظر صفحا عن الكشف عن ما قد يكون فيه من اصول نظريات النقدية امامها وهي في حقيقتها لا تعدم اصولا لها في تراثنا الفكري<sup>(1)</sup>.

ومن هذه القضايا النقدية فان النقد العربي القديم قد أشار وبإسهاب وبشكل واضح ومباشر الى ظاهرة التناص "مع اختلاف المصطلح والمنهج بطبيعة الامر"<sup>(2)</sup>، برؤيه صارمه ناقد العربي آنذاك سادها وسيطر عليها موقف المحاكمه والقذف والتعسف فقط ولم يكتب لها ان تمضي الى العمق كما هي الحال لظاهرة التناص اذا مفهوم التناص ليس جديدا في الدراسات البلاغية والنقدية العربية . فقد وردت تحت مسميات مختلفة الاقتباس والتضمين والقرينة والمجاز والسرقاات الشعرية<sup>(3)</sup>. ففهوم التناص لا يبيح ولا يحيز فكره انطلاق نص من العدم او من الصفر بل لابد للنص من رواسب ولا يمكن ان يسلم من التناص وهكذا فقد وردت دراسات ومباحث في السرقاات الادبية بمصطلحات مختلفه وعديده ورؤى متفاوتة في النقد العربي كما نفى بعض الشعراء أنفسهم تهمة السرقة عنهم وتنبهوا منذ العصر الجاهلي الى هذه القضية الخطيرة فتناولوها بأساليب متعددة. فهذا عنتره بن شداد يقول<sup>(4)</sup>:

هل غادر الشعراء من متردم  
أهل عرفت الدار بعد توهم

وكعب بن زهير يؤكده<sup>5</sup>:

ما اراتنا نقول الا معادا  
او معار من قولنا مكرورا

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض فكرة السرقاات الادبية ونظرية التناص، مجلة علامات في النقد، ص 71.

<sup>2</sup> نفسه ص 71.

<sup>3</sup> احمد الزعبي التناص نظريا وتطبيقيا صفحة 15

<sup>4</sup> عنتره الديوان صفحة 48

<sup>5</sup> كعب بن زهير الديوان، صفحه 113.

وأنكر طرفة ابن العبد ان يكون للشعر سارقا او مغيرا؛ فقال<sup>(6)</sup>:

ولا اغير على الاشعار اسرقها      عنها غنيت وشر الناس من سرقا  
وان أحسن بيت انت قائله      بيت يقال: إذا - انشدته - صدقا

والحل كذلك بتت النسبة لحسان بن ثابت فد نفى تهمة السرقة عن نفسه، ولم يسرق قط شعر غيره، كم في قوله<sup>(7)</sup>: لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

ان صرامة النقاد القدامى وتشبثهم بفكره السرقات الادبية كل هذا جعلهم يتعقبون الادباء وقعدوا لهم كل مرصد وحاولوا منصفين تارة وظالمين تارات اخرى اي يردوا كل بيت سمعوه إلى مصدر قريب أو بعيد<sup>(8)</sup> قيل فان مفهوم حديث لظاهرة النقدية وادبية قديمة وكان عدد كبير من النقاد القدماء قد اشاروا الى هذه الظاهرة اشارات محتشمة احيانا وجريئة وحيانا اخرى ومن باب التهجين في كثير من الاحيان فكانوا يشغلون اذهانهم بقشور النص عوض دراسته وتفجيره من الداخل<sup>(9)</sup>.

فصاحب الصناعتين لم يعارض من سبقه بل يبذر لمن اخذ من السابقين بقوله: "ولولا ان القائل يؤدي ما سمع لما كان في طاقى طاقته ان يقول"<sup>(10)</sup>، ثم يواصل ابو هلال العسكري طرحه الذي يعتبر في راينا على الاقل احد الارهاصات التي مهدت للتأسيس للتناص في النقد العربي الحديث قوله: "عزمت على ان لا احكم على المتأخر بالسرقة من المتقدم حكما حتما وسمعت ما قيل ان من اخذ معنا بلفظه كان له سارقا ومن اخذه ببعض لفظه كان (له) سانحا ومن اخذه فكسه لفظا من عنده اجود من لفظه كان هو اولى به ممن تقدمه"<sup>(11)</sup>.

<sup>6</sup> طرفة بن العبد الديوان، صفحه 180.

<sup>7</sup> حسان بن ثابت الديوان، صفحه 230.

<sup>8</sup> محمد عبد الرحمن شعيب، المتنبي بين ناقيده، صفحه 189.

<sup>9</sup> ينظر عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، صفحه 72.

<sup>10</sup> ابو هلال العسكري، الصناعتين، صفحه 217.

<sup>11</sup> نفسه، صفحه، 217

ونلاحظ ان العسكري كان اكثر لينا وتفهما من غيره حين قال: "... ولكن عليهم اذا اخذوها ان يكسوها الفاظا من عندهم ويبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حنيها في غير حليها فاذا فعلوا ذلك فهم احق ممن سبق اليها"<sup>(12)</sup>.

ويظهر لنا ان هذا اقرب الى مفهوم (التناص) ومعها هؤلاء الذين فهموا ضرورة لجوء الشاعر الى مثله هذا نجد الناقد العلامة ابن رشيق في قوله: "هذا باب المتسع جدا ولا يقدر احد من الشعراء ان يدعي السلام منه فاضحه لا تخفى على الجاهل المغفل"<sup>(13)</sup>، وتعتبر هذه الأراء منفذا وسندا قويا منه وبه أسس النقاد العرب المحدثون آرائهم حول هذا المفهوم كما ورد في هذا القول (المتناص) مع راي ابن رشيق: "فالتناص-هنا- حضور نستشفه بواسطة خبرة عميقة بالنصوص الأدبية، وهذا الحضور النصي يحتاج إلى فراسة تتبع، وإلى بصيرة وتبصر، فقد تندمج البنية المتناصية في بنية النص كإحدى مكوناته، لا يدركها سوى لقارئ المنفتح في قراءته على نصوص متعددة"<sup>(14)</sup> ومن هنا وجد الدارسون والباحثون والنقاد العرب المادة الصالحة والناضجة لمواجهة المد الغربي في هذا الامر. وما هذه الا عينه وجزء من النقد العربي القديم ومفهومه للتناص او السرقات وذهب النقاد القدماء اصحاب الراي الذي يتحفظ على مفهوم السرقات الى ان السابق احسن واغنى بل انها نصوص اساسيه ولا غنى عنها وانما ابدعه المحدثون من اعاده تشكيل ليس الا حواشي لا قيمة لها<sup>(15)</sup>. فالقصيدة لا يكون لها صدى الا بتقطعها مع نصوص اخرى وتداخلها معها لان "من خلال قصيده واحده نستطيع قراءه مئات القصائد سياقات تحضرها الاشارات المكررة وهذه نظره جديده نصصح بها ما كان الاقدمون يسمونه بالسرقات او وقع الحافظ على الحافر بلغه بعضهم وما ذاك الا حركة الإشارة المقتبسة وما جلبته معها من سياقاتها السابقة"<sup>(16)</sup>.

<sup>12</sup> المصدر نفسه، 217 - 218.

<sup>13</sup> ابن رشيق العمده اثنان صفحه 216.

<sup>14</sup> رجاء عيد، النص والتناص، مجلة علامات في النقد، صفحه، 184.

<sup>15</sup> ينظر: احمد سليم غانم، تداول المعاني بين الشعراء، صفحه، 80

<sup>16</sup> عبد الله الغزالي، الخطيئة والتكفير، صفحه، 56

وما نقره ونعتمله و نتبناه بعد هذه المسحة المتواضعة انه "لا وجود للسرقة الى تشابه النتائج تبعا لتشابه المقدمات"<sup>(17)</sup> والمواقف، وما النصوص الا "نسيج من الاقتباسات والإحالات والاصداء"<sup>(18)</sup> واللجوء إلى التناص ضرورة يفرضها "المنظور التنازلي في الابداع"<sup>(19)</sup>.

ان اول من وضع معنى التناص ومفهومه العالم الروسي ميخائيل باختين **M. Bakhtine** في كتابه (فلسفة اللغة) واهتمام يدل على "الوقوف على حقيقته التفاعل الواقعي في النصوص في استعادتها او محاکاتها لنصوص او الاجزاء من نصوص سابقه من الباحثين"<sup>(20)</sup>، ثم استوى بعد ذلك مفهوم التناص بشكل جيد وكامل على يد الباحثة الفرنسية جوليا كريستيفا J.Kristeva التي اجرت استعمالات إجرائية وتطبيقية للتناص دراستها<sup>(21)</sup>، وعرفت فيها التناص بانه: "التفاعل النصي في نص بعينه"<sup>(22)</sup>، فالتناص هو العلاقة بين النصوص وحقيقة التفاعل بينها وذلك في استحضارها باستعادتها او تقليدها بالمحاکاتها لنصوص اخرى سابقة او معاصرة لها .

فالنص الأدبي يمثل ككلمة من الفسيفساء المتداخلة بالاقتباسات والمعاني التي اخذت وأشربت معاني أخرى جديدة مطروحة في النص، كما ترى جوليا كريستيفا "أن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات وكل نص هو تشرب وتحويل إلى نصوص أخرى"<sup>(23)</sup> وعرفته كذلك بأنه "أحد مميزات النص الاساسية، والتي تحيل إلى نصوص اخرى سابقة او معاصرة لها"<sup>(24)</sup> .

وهذا يعني ان كل نص لاحق ينشق من خلايا وأنسجه نصوص سابقه لذا فان رولان بارت يرى ان الادب نص واحد اذ كل نص تناص حيث ان النص يظهر في عالم مليء بالنصوص

<sup>17</sup> عبد الجبار المطليبي، دراسات في الادب الاسلامي والاموي، ص 118- 119.

<sup>18</sup> رولان بارت، درس السيميولوجيا، عبد السلام بن عبد العالي، تقديم عبد الفتاح كليطو، صفحة، 63

<sup>19</sup> صالح الغامدي، القراءة وسلطة النموذج في تراثنا النقدي، مجلة علامات، صفحة 798.

<sup>20</sup> محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، المجلد: الثالث، الشعر المعاصر، ص 183- 185.

<sup>21</sup> كتاب ثورة اللغة الشعرية.

<sup>22</sup> شربل داغر، التناص سبيلا الى دراسة النص الشعري، مجلة فصول، المجلد 16، العدد الاول، القاهرة 1997

ص 130 - 131.

<sup>23</sup> مارك انجيلو، مفهوم التناص في الخطاب النقدي الجديد، ترجم: احمد المديني، صفحة 102.

<sup>24</sup> سعيد علوش، معجم المصطلحات الاسلوبية المعاصرة، صفحة 215.

(نصوص قبله نصوص تطوقه نصوص حاضره فيه ...) وهو بذلك عبر نسيجه المتشابك والنسيج هو الاصل الاشتقاقي للنص<sup>(25)</sup>.

لان كل نص يتوالد يتعلق ويتداخلوا وينشقوا منه يوله النصوص في مجاهيل ذاكره المبدع الإسفنجية التي تمتص النصوص بانتظام وتبثها بعملية انتقائية خبيرة؛ فتشتغل هذه النصوص المستحضرة من الذاكرة داخل النص، لتشكل وحدات متعالية في بنية لنص الكبرى<sup>(26)</sup>، فالعلاقات النصية لا يمكنها ان تكون ذات رؤيه منفردة او اتجاه فريد " فهي غير أحادية السمة مع نصوص أخرى، فقد تكون علاقه تحويل او تقاطع او تبديل او اختراق"<sup>(27)</sup>، بعد ان يعيد المبدع تشكي لها ورص بنيانها والتفنن في نسجها كما تنتج العنكبوت بيتها حتى تبدو مجموعته متراممة متالفه دون خلل او استعصاء.

كما يعتبر التناص ظاهرة تركيبية بارزه في اللغة الشعرية للنص المعاصر فكل قول لا يخلو من تناص فكلام الناس كله فيه تناص الا كآدم عليه السلام متعمدا او غير متعمد وذلك يعد حصادا لمخزونه المعرفي والثقافي فلم يعد النص الشعري منغلقا او تتاجا تلقائيا يقتصر على الامتلاء البريء انما هو نص مفتوح يعتمد معارف سابقه مكثره في ذهن مبدع نتيجة اطلاعه وقراءته وثقافته التي يجب ان تكون في شجره نسب عريقه وممتده تماما مثل الكائن البشري فهو لا يأتي من فراغ كما انه لا يفضي الى فراغ انه تتاجا ادبي لغوي لكل ما سبقه من موروث ادبي وهو ندره خصبه تقول الى نصوص تنتج عنه<sup>(28)</sup>.

ان ذاكره المبدع بحر في اعماقه اقوال وافعال متعددة مما يجعلنا السهو على استعداد كامل لامتناس خطابات ونصوص اخرى غائبه تدخل بين حنايا النص الحاضر الجديد وتصبح جزءا لا يتجزأ من نسيجه اللغوي حتى اضحى التناص دليلا مبينا على ثقافته الشاعر وحداقه المتلقي القارئ كما صارت النصوص السابقة خزاناً لأي مبدع كيفما شاء ومتى، "والوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس او يضمن الفاظا وافكارا كان اتهمها في وقت سابق ما دون وعيا صريح بهذا الاخذ المتسلط عليه

<sup>25</sup> عمر اوكان، لذة النص او مغامرة الكتاب لدى بارت، صفحة 31.

<sup>26</sup> صبحي الطغام، بنيه النص الكبرى، مجلة عالم الفكر، المجلد 23، العدد 1، و2، يونيو/ سبتمبر/ اكتوبر/ ديسمبر/ 1994، صفحة 446.

<sup>27</sup> رجاء عيد، النص والتناص، صفحة 193.

<sup>28</sup> عبد الله الغدائي، ثقافة الاسئلة، مقالات في النقد والنظرية، صفحة 111.

من مجاهيل ذاكرته ومثاهات وعيه"<sup>(29)</sup>، كما انه "نظرية تقوم على افتراض شيء غريب هو النص الذي يقع بين ايدي الناس في صورته الادبية النهائية"<sup>(30)</sup>.

فبراعة المبدع تظهر في استغلال وحسن استخدام النص المتناس عبر السياق والإفادة من مميزاته في تقوية النص الجديد ودعمه "فالتناس شيء لا مناص منه، لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما ذاكرته فاساه انتاج اي نص هو معرفه صاحبه للعالم وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل متلقي ايضا"<sup>(31)</sup>، شرط ان لا يكون النص الجديد محشونا بكل كبيره وصغيره من محمولات النص الغائب قصد التباهي واستعراض المخزون الثقافي للمبدع. وقد اتفق عدد كبير من الباحثين والنقاد الغربيين على كنه مفهوم التناس واستمرت الدراسات وحوله وتوسع الباحثون في تناول هذا المصطلح دون الخروج عن الاصل ويحدد الناقد الفرنسي جيرار جينيت **G.Génette** انواعا للتناس هي<sup>(32)</sup> :

- الاستشهاد وهو الشكل الصريح للتناس
- السرقة، اقل صراحة.
- النص الموازي، علاقة النص بالعنوان والمقدمة والتقديم والتمهيد.
- الوصف النصي، العلاقة التي تربط بين النص والنص الذي يتحدث عنه.
- النصية الواسعة، علاقة الاشتقاق بين النص الاصيل القديم والنص السابق عليه الواسع الجديد.
- النصية الجامعة، العلاقة البكاء بالأجناس النصية التي يفصح عنها التنصيص الموازي.

ومن الباحثين والنقاد العرب اسهب كل من محمود جابر عباس على سبيل المثال للخصر في تعريف التناس وذكر التحولات التي تطرا على النص الاصيل فيحتفظ كل منهما على انه يجب "اعتماد نص من النصوص على غيره من النصوص النثرية او الشعرية القديمة او المعاصرة الشفاهية او الكتابية العربية أو الأجنبية، ووجود صيغة من لصيغ العلائقية والبنوية والتركيبية والتشكيلية

<sup>29</sup> عبد الملك مرتضى فكره السرقات الادبية صفحه 87

<sup>30</sup> المرجع نفسها صفحه 89.

<sup>31</sup> محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس، صفحة 123.

<sup>32</sup> ينظر: محمد بنيس، الشعر المعاصر، صفحة 186.

والأسلوبية بين النصين"<sup>(33)</sup>، وعبد الملك مرتاض، فهو يوضح التناص بدقة متناهية؛ حيث يقول: "فليس التناص في تصورنا إلا حدوث علاقة تفعيلية بين نص سابق ونص حاضر، لإنتاج نص لاحق"<sup>(34)</sup>، ومحمد مفتاح الذي حصر مفهوم التناص وآلياته في قسمين: الاول (التمطيط)، والثاني (الإيجاز)، أما الول فيكون بالجناس والقلب والتصحيف، والشرح والاستعارة بأنواعه المختلفة، والتكرار والشكل الدرامي، وايقونه الكتابة... والثاني الإيجاز وهذا الصنف هو الذي يحتاج الى الشرح والتوضيح والتفصيل حتى تكون هذه الآلية مدركة من قبل المتلقي/لقارئ العادي، فليشاعر في مثل هذا لا يذكر الا الاوصاف المتناهية في الشهره والقبح<sup>(35)</sup>.

ولهذا لا بد ان يكون النص السابق محددًا بالقيام بتوجيهات صالحه لحل مشاكل في النص الحاضر الجديد ويكون امتصاصه اثرًا للنص الجديد ليصبح حاملًا لدلالات كثيرة وكأنه خال من التناص، فالصور المتناصة تزيد النص الشعري قوة وغنى، "فإذا كان (النص) مقولة، يكون (التناص) هو الاجراء الذي تفرضه هذه المقولة"<sup>(36)</sup>، وبالتالي يقدم يحمل النص الحاضر أكثر من وعي، "لذا فالتناص يقدم مفهومًا جديدًا لمصطلح الكتابة ليست رسماً للأصوات اللغوية على الورق، بل تمثل وجودًا كليًا، له تفاعلاته لذاتية وقوانينه النوعية، كما يقدم مفهومًا جديدًا لمصطلح (النص)، فالنص المكتوب حتمًا يتصف بصفات محددة، بدونها قد يكون أثرًا، أو عمل أو ما شئت، لكن (النص) الذي يستحق هذه التسمية، ذو سمات جديدة تمامًا"<sup>(37)</sup>.

وهكذا نجد ان المادة المتناصة تفرض وجودها بصوره رحبه وواسعه وعميقة عند المبدع الذي يمتلك مخزونًا كبيرًا من الثقافات من مختلف المشاريب والمناهل عربية وغير عربية معاصره وحديثه وقديمه تتزاحم في ذهنه كل ما استفزتها المعاني القريبة من نصره الحقيقية لأي مبدع لا يتم الا باستيعاب الجهد السابق عليه في الابداع الشعري وهو يعني وجود علاقة جماعية بين الخطاب الحاضر

<sup>33</sup> محمود جابر عباس، استراتيجيات التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث، مجلة علامات في النقد، المجلد 46، العدد 12، صفحة 226.

<sup>34</sup> عبد الملك مرتاض، فكرة السرقات الاديبة، صفحة 82.

<sup>35</sup> ينظر محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، الصفحة، 126 - 129.

<sup>36</sup> محمد فكري الجزار، العنوان وسميوطيقة الاتصال الادبي، صفحة 174.

<sup>37</sup> شكري عزيز ماضي اشكاليات النقد العربي الجديد صفحة 174



والخطابات الغائبة على مستوى الافراد وعلى مستوى الترتيب وعلى مستوى الشكل وعلى مستوى المضمون<sup>(38)</sup>.

لما يعتبر كل نص نافذه منفتحة ومستقبله لنصوص اخرى تتفاعل مع نسيج الدلالة وسياق لتحصل على نص دسم تترى لنا من خلاله نصوص اخرى كثيرة ذات بين احضانه وفيه فناياه وهذا التأثر بالسلفي والاخذ من افكارهم وابداعاتهم الفنية او الاعتداء على نصوص الاخرى وانما يتم ذلك التناص على وجه الابداع يقوم على الاستيعاب والحوار ومن ثم الخلق والتصرف وهذا يعني ان التماس يندرج فيما هجولها كريستيفا اشكاليه الإنتاجية النصية التي تقوم على (الحوارية) (والصوت المتعدد)<sup>(39)</sup>، وعلى المتلقي ان يستنتج العلاقة الوطيدة بين ما هو غائب/ قديم وبين ما هو حاضر/ جديد .

اجمع الباحثون والنقاد على ان التناص *interxtualité* هو "العلاقة بين نصين او اكثر وهي التي تؤثر في طريقه قراءه النص المتناص *intertexte* الذي تقع فيه اثار نصوص اخرى او اصداؤها"<sup>(40)</sup>، ويرى الحدائون ان للتناص تعريفات شتى اذ يرى الباحثان الايطاليان بوغراندي ودريسلار التناص بانه: "ترابط بين انتاج نص بعينه او قبوله و بين المعارف التي يملكها مشارك التواصل عن نصوص اخرى"<sup>(41)</sup> كمال الدكتور موسى ساح ربيعه تعريف بان "التناص ظاهرة تشكل ابعاده وفيه والتاريخية على اساس وظيفي يجسد التفاعل الخلاق بين الماضي والحاضر"<sup>(42)</sup> .

وهناك راي اخر يقول: "ان الوقائع عند تناصها تقوم في تفاعلها واتاجها تبعا لعلاقات مختلفة قد تكون الاستعادة او التذكر او التلميح او ايراد الشواهد او التقليد او المحاكاة الساخرة وغيرها مما تقع عليهم من فنون ادبية متعمده او عفويه بفعل الاختطاف او التملك او بمفاعيل الذاكرة الناشطة في الكتابة"<sup>(43)</sup> .

<sup>38</sup> محمد عبد المطلب، هكذا تكلم النص، ص 61 - 62.

<sup>39</sup> تودروف ومجموعة من الباحثين، في اصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة وتقديم: احمد المديني، ص 103 - 105.

<sup>40</sup> محمد عناني، المصطلحات الادبية، صفحة 46.

<sup>41</sup> شربل داغر، التناص سييلا، صفحة 128.

<sup>42</sup> موسى ساح ربابعة، التناص في نماذج الشعر العربي، ص 7.

<sup>43</sup> شربل داغر، المرجع السابق، صفحة 129.

فالتناسق؛ اذن، يشكل نتاجا او حصادا من الثقافة الواسعة وثمره من ثمارها كما يقوم على ابراز التفاعل النصي الموجود في النص نفسه مع الإشارة الى نصوص اخرى تقع في نطاق ثقافته المبدع ووفق هذه العلاقات.

وموضوع التناسب هو "تضمنين نص لنص اخر او استدعائه او هو تفاعل خلاق بين النص المستحضر والنص المستحضر فالنص ليس الا تولدا لنصوص سبقتة"<sup>(44)</sup>، وبهذا يؤدي التناسق دور الرابط بيننا او اكثر ويكون هذا الترابط وهذا التفاعل من المبدع اللاحق اما طوعا او رغما فانه لا بد للتناسق من مصادر يستمد منها مادته المتناسقة وعليه يمكن تلخيص هذه المصادر في ثلاثة جوانب :

- المصادر الضرورية: والتأثر فيها يكاد ان يكون طبيعيا او تلقائيا مفروضا ومختارا في ان اي الموروث العام والشخصية كجنوح الشاعر الى التأثر الوعي بشيء من انتاج شاعر اخر او تقيد الشاعر توافرت له في اعداده وتعليمه وهذا ما يمكن ان تبييناه في الوقفات الطلابيه وهي اقوى المصادر القديمه من دون شك التي تقيدت بها صناعه الشعر العربي قديما.
- المصادر اللازمة: وهي ما يسمى بالتناسق الداخلي وتشير الى التناسق الواقعي في انتاج الشاعر نفسه حيث انها تحترق نتاجا اختراقا بينا.
- المصادر الطوعية: وهي الاختيارية عند مفتاح التي تشير الى ما يطلبه الشاعر عمدا في نصوص متزامنة او سابقة عليه في ثقافته او خارجها وهي المطلوبة لذاتها<sup>(45)</sup>.

ونذكر ان للتناسق اليه وهي للشاعر "بمثابه الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياه له بدونهما ولا عيشه له خالتهما وعليه فانه من الاجدى ان يبحث عن اليات التناسق لا يتجاهل وجوده وهروبا الى الامام"<sup>(46)</sup>.

والاصل في التناسق ان يكون بمثابة قراءه ثانيه للذاكرة يعيد بعث الموروث من جديد " وما من كتابة مبتكرة خالصة مائة بالمائة، دون أن تكون متأثرة بغيرها، بل هو امتزاج بين (الأنا) و (الأخر) السابق عليه ليكون في الأخير نصا جديدا الى جانب النصوص الإبداعية الاخرى"<sup>(47)</sup>،

<sup>44</sup> موسى ساح رابعة، المرجع السابق، صفحه 97.

<sup>45</sup> شربل داغر، المرجع السابق، صفحه 133.

<sup>46</sup> محمد مفتاح تحليل الخطاب الشعري صفحه 125

<sup>47</sup> محمد طه حسين، التناسق في رؤية ابن خلدون، مجلة فكر ونقد، العدد 32.

ونظرا للتشابه القائم بين الحداثيين (التراث/ المعاصر)، او البيثيين او الموقفين او الصور واكيد ان التراث في كثير من الاحيان يمثل الصورة الرمز للواقع الذي يعيشه الشاعر والنص المتناص عليه ان يحقق ثلاثيه زمنييه ماض حاضر مستقبل حتى يصير نصا ويؤسس لنفسه ظلا والا فهو كما يقول رولان بارت: "نص بلا ظل لان النص الحقيقي في حاجه الى ظله بشكل اللازم"<sup>(48)</sup>، فتتزوج الرؤى لتنجب لنا نص مزيجا من حضارتين وموقفين اجتمع فيهما الماضي بالحاضر بل يستدعي الحاضر الماضي ليستحم في نهر النص الحاضر .

ومن ابرز خصائص التناص استحضر الماضي؛ "لأنه ايد تناص من اكثر الظواهر فعاليه في عمليه الابداع الشعري حيث يحدث تماس يؤدي الى تشكيلات داخلية قد تميل الى التماثل او التناقض في كل ذلك يكون للنص موقف محدد اذا هذا التماس الذي يصل في بعض الاحيان الى درجه التنصيص"<sup>(49)</sup> .

والنص الجديد ثوالد في احشائه نصوص سابقه ومعاصره كما تتراكم فيه بنيات من نصوص سابقه او محيئه اذ ان النص يجب ان يخرق منفذا منه يستطيع المبدع رواسب الماضي حيثيات الحاضر "ورؤى المستقبل والشاعر يحاول تمثل التراث في العديد من قصائده وعلى اكثر من مستوى فهو يستقي منه بعض رموسه واقنعتيه ويضمن شعره اشارات متفرقه الى موروث القول من شعر ونثر"<sup>(50)</sup> .

وايسر المنافذ واثراها بالنسبة للشاعر هو التراث الذي هو من كل المبدعين وبذلك يصير ارسل؛ لأن" التراث هو ذلك الارث الذي وصلنا على مر العصور والازمان والذي لا يزال ماثلا في حياتنا ممثلا في جميع ما انتجته عقول الاجيال السابقة وما اوحت به قلوبهم من عبقرية ابناؤه"<sup>(51)</sup> . ويبقى التراث -دائما- هو المنبع الرئيسي للفنان المبدع والرافض الاساس للنص المولود وبالتالي تتجاوز صلة الشاعر بتراثه دائرة الماضي لتحتضن الحاضر، وتتخطى استدعاء النصوص وموروثات القول القديمه لتشمل توظيف الاسماء البارزة كرموز واقنعه وشخصيات"<sup>(52)</sup> .

<sup>48</sup> رولان بارت، لذة النص، ترجمة فؤاد الصفا والحسين سبحان، صفحة 37.

<sup>49</sup> محمد عبد المطلب، قراءات اسلوبية في الشعر الحديث، صفحة 163.

<sup>50</sup> علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دراسات نقدية، صفحة 132.

<sup>51</sup> عباس الجراري، من وحي التراث، صفحة 44.

<sup>52</sup> علي جعفر العلاق، المرجع السابق، صفحة 135

ولذا يرى تدوروف "انه من الوهم ان نعتقد لان العمل الادبي له وجود مستقل انه يظهر مندمج داخل مجال ادبي ممتلئ بالأعمال السابقة ان كل عمل فني يدخل في علاقة معقدة مع اعمال الماضي التي تكون حسب المراحل التاريخية تراتبية مختلفة"<sup>(53)</sup>، ويؤكد ميشال اريفي في دراسته "للغات جاري" ان التناص "هو مجموع النصوص التي تدخل في علاقة مع نص معطى هذا التناسب اشكال مختلفة الحالة المحدودة هي بدون شك مكونه من مجموع المعارضات حيث التناص يكون مجموع النصوص المعارضة"<sup>(54)</sup>.

ومنها هنا يمكن القول ان التناص امتدادا واستحضار في الوقت نفسه فالمبدع يتفاعل مع ما ومن سبقه في رحاب الابداع المختلفة ويسعى الى توظيفها وفق ما يخدم النص الحاضر محافظا على فرادة النص وتميز المبدع، وتنجم عن هذا رؤى وأفكار جديدة، "فكل ما يكتب من نصوص له شفرات وأصول قديمة، بعضها يدرك بعضها شفرات منسية، (أصول منطمسة) لا ندركها وإن كنا نستطيع أن ننفي وجودها"<sup>(55)</sup>، فيتشكل ذلك التفاعل النصي لإقامة علاقات مع نصوص اخرى قد تكون حميمه وقد تكون مناقضه للموقف والحدث الذي يعيشه الشاعر المبدع .

"وهناك صنفان من اصناف التفاعل النصي اما الاول فهو التفاعل النصي الخاص وهو اي قيمه نص علاقة مع نص محدد كاي يسير نص في المدح مثلا على منوال نص اخر معروف واما الصنف الثاني فهو التفاعل النصي العام. وهو ما يقيمه نص ما معنى من علاقات مع نصوص عديده مع ما بينها من اختلاف على صعيد الجنس والنوع والنمط ان يأخذ قصيده شعرية دلالات جديده او مناقضه تماما"<sup>(56)</sup>.

من هنا يمكن أن نستخلص أن التضمين، والاقتباس والتأثر كلها تندرج ضمن عملية التناص وآليته، "والقضية الأكثر حيوية وأهمية وخطورة في مسلة تفاعل النصوص، هي ان النصوص لا تتفاعل بوصفها مجرد نصوص، ولو كانت كذلك لصح النظر إلى تفاعلها على انها مجرد اقتباس او تضمين او تأثر بمصادر معينه يستطيع ان يحددها القارئ الخبير المطلع ولكنها تتفاعل بوصفها ممارسات دلالية متماسكة انها تتجاوز وتطلع وتتزوج وينفي بعضها البعض الاخر او باختصار عندما

<sup>53</sup> انور المرتجي، سيميائية النص الادبي، صفحة 45.

<sup>54</sup> المرجع نفسه، صفحة 46.

<sup>55</sup> احمد مجاهد، اشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، صفحة 387.

<sup>56</sup> سعيد يقطين، الرواية والتراث السردى، صفحة 18.

تفاعل نصيا تتفاعل بوصفها انظمه علامات متماسكه لكل من هذالته الخاصة به وهذه الأنظمة عندما تلتقي في النص الجديد تسهم متضافره في خلق نظام ترميزي جديدا يحمل على عاتقه عبء انتاج المعنى او الدلالة في هذا النص" (57) .

فالذاكرة الشعرية هي عباره عن خزان من الرواسب المنسيه وغير المنسيه عن هذا الخزان انه رصيده ومرجعه ومنه ومنه تنسج ذاكته قصائد من فسيفساء وانسجه متعددة ومنفتحة على الماضي السحيق والبعيد والقريب والقريب جدا ولذا "اصبحت معاني الشعراء السابقين نبعاً ثريا يمتاح منه الشعراء اللاحقون ومن ثم فقد اصبح تداول المعاني ظاهرة عامه شائعه بين الشعراء" (58) او التداخل النصي "ينهض على تخوف نصوص اخرى فهو لا يلغي خصوصيته الإبداعية بل على العكس يؤكد سماته المتميزة بوصفه نص قائماً بذاته تجاوز غيره وتخطاه" (59) .

وقد اشار رولان بارت من خلال نص قد يكون ليستاندال اذ فقال: "واني مولع بسيطرة الصيغ، وقلب الاصول، واستخفاف النص الجديد بالنص السابق" (60)، ويؤكد بارت في هذا السياق بقوله في التناص "استحاله العيش خارج نص غير متناه سواء كانت بروست ام جريدة يومية ام شاشه تلفاز فالكّاب يؤسس المعنى ويصنعه والمعنى يؤسس الحياة ويصنعها" (61) .

وكما اشار كثير من الباحثين والنقاد الى ان "الممارسه الادبية هي تجسيد لذاكره النصيه وبحضورها يقوم الادب ان ما لارميه لا يرى في الادب سوى عملية "ارجاعية" ويعتبر ميشال بوتور ان كل ابداع ادبي ينتج داخل مجال المحاصرين بالأدب ان كل رواية او قصيده كل كتابه جديده هي مشاركته داخل المنظر السابق ويقول بورجيس: ان جميع الاعمال الادبية هي من صنع كاتب واحد غير زماني وغير معروف<sup>62</sup> .

<sup>57</sup> عبد النبي اسطيف، التناص، مجلة راية، مؤته، المجلد 2، العدد 2، كانون الاول، 1993، صفحة 53.

<sup>58</sup> احمد سليم غانم، تداول المعاني بين الشعراء، صفحة 75.

<sup>59</sup> نعيم اليافي، اطيف الوجه الواحد، صفحة 90.

<sup>60</sup> نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، المجلد 2، صفحة 100.

<sup>61</sup> صلاح فضل، شفرات النص دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصير، صفحة، 116.

<sup>62</sup> المرجع نفسه، صفحة، 116.

وما لاحظناه ان مفهوم التناص غير من المفاهيم الحداثية متعدد الشروحات والتفسير حسب تعدد الدارسين اذ يتغير من باحث الى اخر طبقا لطريقه فهمه لطبيعة النص فانه يندرج في إطار الشعرية التكوينية لمفهوم البنية التي تعترض على افكار الادمان الوظيفة النقدية الخصبية. وهذه التعددية في مفاهيم التناص انما تندرج ضمن خصوصيات النقد الحداثي المتعدد الرؤى الذي يبيح ويجيز نظرية الاختلاف بل يقرها ومن هنا فهو يتوضع بين اسلوبيتين مختلفتين لكنهما متكاملتان ونقصد اسلوبيه الاختيار واسلوبيه الانحراف تلك المتصلة بالمبدع في إطار ما يدعى بشعرية الحضور والغياب وقد تكون العناصر الغائبة اشد حضورا من تلك الحاضرة لما لها من تأثير على المتلقي يحفزها على استدعاء النص الغائب.

### قائمة المصادر والمراجع

- [1] باقر الجاسم محمد انخطاب السياسي واللغة العادية.
- [2] احمد سليم غانم، تداول المعاني بين الشعراء، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة 01، 2006.
- [3] احمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مقدمه النظرية مع دراسة تطبيقية للتناص، اردب، مكتبه الكفاني الطبعة (1) 1995.
- [4] احمد مجاهد، اشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 01، 1998.
- [5] ابن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق: محمد عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، 2001.
- [6] ابو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: مفيد فيحه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1989.
- [7] انور المرتجي، سيميائية النص الادبي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة 01، دون تاريخ.
- [8] تودروف وبارت، وايكو انجلو، في اصول انخطاب النقدي الجديد، ترجمته وتقديم: احمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة 2، 1989.
- [9] ثقافه الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية، النادي الادبي الثقافي جده، الطبعة 02، 1992.

- [10] حسان بن ثابت، الديوان، ضبطه وصححه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت، دون طبعه، دون تاريخ.
- [11] درس السيميولوجيا، ترجمه: عبد السلام بن عبد العالي، تقديم: عبد الفتاح كاليطو، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة 2، 1986.
- [12] رجاء عيد، مجلة علامات في النقد، المجلد 18 المجلد 05، 1990.
- [13] رولان بارت، لذه النص، ترجمه: فؤاد الصفا والحسين سبحان، دار توبقال، الدار البيضاء، دون طبعه، 1988.
- [14] سعيد علوش، معجم المصطلحات الاسلوبية المعاصرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، الطبعه 01، 1985.
- [15] سعيد يقطين، الروايه والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، دون طبعه، 1993.
- [16] شربل داغر، التناص سبيلا الى دراسه النص الشعري، مجلة فصول، الهيئه المصريه العامه للكتاب، المجلد 16، العدد 1، القايره، 1997.
- [17] شكري عزيز ماضي، اشكاليه النقد العربي الجديد، المؤسسه العربية للدراسات والنشر، الطبعه 01، 1997.
- [18] صالح زياد الغامدي، القراءه سلطه النموذج في تراثنا النقدي، مجلة علامات في النقد، المجلد 44 عدد خاص، قراءه نص، 02 يونيو 2002.
- [19] صلاح فضل، شفرات النص، دراسه سيميولوجيا في شعريه القص والقصيد، دار الآداب، القايره، الطبعة 01، 1999.
- [20] صبحي الطعام، بنيه النص الكبرى، مجلة عالم الفكر، المجلد 23، العدد 1 و2، يونيو سبتمبر ديسمبر، 1994.
- [21] طرفه بن العبد، الديوان شرح الاعلم الشنتمري، تح: دريه الخطيب ولطفي السقال، دون طبعه، دون تاريخ، صفحه 180.
- [22] عباس الجراري، من وحي التراث، مطبعه الأمنية، الرباط، دون طبعه، 1971.

- [23] عبد الجبار المطلب، دراسات في الادب الاسلامي والاموي، الشعراء نقادا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة 01، 1986.
- [24] عبد الملك مرتاض، فكره السرقات الادبية ونظرية التناص، مجلة علامات في النقد، نادي جده الثقافي، المجلد 01، المجلد 01، مايو 1991.
- [25] عبد النبي أسطيف، التناص مجلة راية، مؤتة، المجلد 2، العدد 2، كانون الاول، 1993.
- [26] علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دراسات نقدية، دار الشروق، عمان، الطبعة 01، 1997.
- [27] عمر اوكان، لذه النص او مغامرة الكتابة لدى بارت، افريقيا الشرق، المغرب، الطبعة 1، 1991.
- [28] عنتر بن شداد، الديوان، تحقيق: خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة 01، 1988.
- [29] كعب بن زهير، شرحه وضبطه نصوصه وقدم له، عمر فاروق الطباع، دار الارقم للطباعة والنشر بيروت، دون طبعه، دون تاريخ.
- [30] مارك انجيلو، مفهوم التناص الخطاب النقدي الجديد، ترجمة: احمد المديني، عيون المقالات، الدار البيضاء، الطبعة 1، دون تاريخ.
- [31] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وابدالاته، المجلد 3، الشعر المعاصر، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة 1، 1990.
- [32] محمد طه حسين، التناص في رؤية ابن خلدون، مجلة فكر، ونقد العدد 32.
- [33] محمد عبد الرحمن شعيب، المتنبّي بين ناقدية في القديم والحديث، دار المعارف مصر، دون طبعه، 1964.
- [34] محمد عبد المطلب، قراءات اسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 01، 1995.
- [35] محمد عبد الله الغزالي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية الى التشريحية، النادي الادبي الثقافي جده، الطبعة 01، 1995.



- [36] محمد عناني، المصطلحات الادبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الثانية. 1997.
- [37] محمد فكري الجزار: العنوان وسميوطيق الاتصال الادبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة 1- 1998.
- [38] محمود جابر عباس، استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث، مجلة علامات في النقد المجلد 46، المجلد 12، نادي جده الادبي، شوال، 1423.
- [39] موسى ساح رابعه، التناص في نماذج الشعر العربي، مؤسسه حماده للدراسات الجامعية، الاردن، الطبعة 1، 2000.
- [40] نعيم اليافي، اطياف الوجه الواحد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دون طبعه، 1997.
- [41] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار همه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دون طبعه، بدون تاريخ.